PAPER DETAILS

TITLE: Modern Urdun Siirinde Mitolojik Semboller ve Onlarin Kökenleri

AUTHORS: Teysir Muhammed Ahmed EZZIYADAT

PAGES: 9-28

ORIGINAL PDF URL: https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/116895

الرمز الأسطوري وبواعثه في الشعر العربي الأردني الحديث

Yrd. Doç. Dr. Teysir Muhammed Ahmed ez-ZİYADAT*
Dr. Harbî Ahmed Feyyâd ed-DEBBÛŞ**

Modern Ürdün Şiirinde Mitolojik Semboller ve Onların Kökenleri

Özet

Bu araştırma, mitolojinin anlamını dil, terim ve fonksiyonel açıdan ele almaktadır. Aynı şekilde mitolojinin tarih boyunca gelişimini de aktarmaktadır. Araştırmacı, Ürdün kasidesinin düz yazının seviyesine ulaşmasını sağlayan gelişim sürecini açıklamak için modern Ürdün şiirindeki kasidelerden istifade etmiştir. Mitoloji, çağdaş konumuna ve derin şiir perspektifine uygun ve verimli bir şekilde kullanılmıştır. Mitolojik semboller, Ürdün Krallığının yaşadığı katı siyasal ve sosyal durumların kaçınılmaz sonuçları olarak gelmiştir. Şairin onun (mitolojinin) arkasına sığınmaktan başka yapacağı bir şey yoktur. . . Otoriteyle yönetilen sisteme karşı bir çözüm olması hasebiyle.

Mitoloji bir sanat aracı ve şairin psikolojik rahatlığa dönmesinin, korkusuzca yazmasının diğer bir adıdır. Kaside de yoğun bir şekilde bulunan anlamsal yoğunluk dramatik ve öyküsel yapıyla uzar gider. Mitoloji, şiirsel metinlerdeki seslerin ve söylenilenin birden fazla olmasını sağlamıştır. Kasidenin sanat ve edebiyatla dolu radyolojik odaklara ve etkili silahlara dönüşmesi, siyasal, sosyal ve iktisadi açıdan yaşanılan olayların ortadan kaldırılması ya da dengenin sağlanması içindir.

Araştırmacı, bazı mitolojik sembolleri kullanmıştır. " İfacinaya ve Aştar" gibi. . . Bu mitolojinin ilk kaynaklarına dönüş, hikayelerinin, anlatmak istediklerinin ve mitolojik şahsiyetlerinin anlaşılması, şairleri, onları kasidelerinde ısrarla kullanmalarına ve onlardan ilham almalarına sebep olan etmenlerin açıklanmasının bir neticesidir.

Anahtar Kelimeler: Mitoloji, sembol, Ürdün şiiri, maske, kaside.

The Mythological Symbol and its Origins in Modern Jordanian Arabic Poetry

Abstract

This research discusses the linguistic, idiomatic, and functional meanings of myths to know about their origin and their specific ceremonies over their mythological history using specialized dictionaries and references. The research turned to some of the Jordanian poets for help to explain the development of the Jordanian Arabic poetry on the textual construction level in the sense that it came to support the contemporary position and the deep poetic vision in the harsh polotical and social circumstances.

Myth is an artistic tool and a subjective alternative to bring the poet his psychlogical balance back; it also helps the poem with a highly intensive dramatic and narative construction. myth has turned the poetic texts to have variety of voices; it also changed the poem to be an active nucleus full of artistic and expressive significances in order to apply it on the real life with its political, economical, and social dimensions.

It also sheds light on some of the mythological symbols to illustrate the motivations that led the poets to insipre the myths and insist on using them.

Keywords: mythology, symbol, Jordan poetry, mask, ode.

---

* Yrd. Doç. Dr. Teysir Muhammed Ahmed ez-Ziyadat, Şırnak Üniversitesi İlahiyat Fakültesi, tayseerzaydat@yahoo.com
** Harbi Ahmet Feyyâded-Debûş, Vizâretü't-Terbevi, Ürdün

الرمز الأسطوري وبواعثه في الشعر العربي الأردني الحديث

مقدمة:

أخذ الرمز الأسطوري دوره الفاعل في بنية القصيدة العربية الأردنية؛ حيث حظي باهتمام بعض الشعراء، فجاءت نصوصهم الشعرية مخصبه بالرمز الأسطوري بعد امتصاصه، ومن ثَمّ تحويره ليصبح رمزاً لقضايا إنسانية واجتماعية وسياسية. فالأسطورةُ ظاهرةٌ فنيةٌ في الشعر العربي المعاصر إذ" تسعف الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، والربط بين الماضي والحاضر، والتوحُّد بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية، وتنقذ القصيدة من الغنائية المحضة، وتفتح آفاقاً لقبولِ ألوانٍ عميقة من القوى المتصارعة والتنويع في أشكال التركيب" (١) وللبحث في ماهية هذا الموضوع نجد لزاماً علينا الوقوف على بعض القضايا المعرفية:

- المعنى اللغوي والاصطلاحي والوظيفي:

الأسطورة لغة " من الفعل سَطرَ، وهي كل ما يُسطر أو يكتب، والجمع أساطير. وفي المعاجم: الأساطير: الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا ناظم لها" (٢) أو"ما لا وجود له" (٣) وفي القرآن الكريم قوله تعالى:(إنْ هذا إلاّ أساطيرُ الأولينَ) [المؤمنون:٨٣/٢٣]. (٤) والأساطيرُ في المفهومِ الحديث مصطلحٌ جامعٌ ذو دلالات خاصة يطلق على أنواع من القصص والحكايات المجهولة المنشأ ولها صلة بالتراث أو الدين أو الأحداث

1 (١) عباس، إحسان: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عَمَّان،ط٣، ١٠٠٢م،ص٨٢١.

2 (٢) ينظر: مادة سطر: ابن منظور، لسان العرب، ج٦.

3 (٣) الموسوعة العربية العلمية:ج١،مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض، ٦٩٩١،ص٣٧٥.

4 (٤) سورة المؤمنون/ آية ٣٨.

التاريخية، وتعدُّ من المُسلَّمات من غير محاولة إثبات لها. (٥) وهي قصصٌ عامةٌ أو خاصة تُروى عن الآلهة أو عن كائنات بشرية متفوِّقة أو عن حوادث خارقة وخارجة عن المألوف أو في أزمنة مغايرة، وقد تتحدث عن تجارب متخيَّلة للإنسان المعاصر، بغض النظر عن إمكان حدوثها أو تسويغها بالبراهين. (٦) والأسطورة أيضاً، هي الصورة الشعرية أو الروائية التي تعبر عن أحد المذاهب الفلسفية بأسلوب رمزي؛ يختلط فيه الوهم بالحقيقة. كما تطلق الأسطورة كذلك على صورة المستقبل الوهمي الذي يعبر عن عواطف الناس وينفع في حملهم على إدامة الفعل(٧) وهنا الكثير من الدراسات التي تفسِّر عالم الأسطورة، ومدى ارتباطها بالدين والمجتمع، ومنها مَنْ ذهبت إلى استقلال الأسطورة فكرياً، ومنها من عزة الجانب الديني فيها إلى الروح المختفية في طياتها(٨) وانطلاقاً من التفسيرات السابقة لعمل الأسطورة الوظيفي نجد أن الأسطورة تقدم مادة معرفية مقترحة أو حكاية متداولة تفسر الظاهرة الدينية أو ما فوق الطبيعة كالآلهة والأبطال وقوى الطبيعة؛ وتتعلق بكائن خارق أو حادثة غير عادية، سواء أكان لها أساس واقعي أم لا.

مفهوم الأسطورة في الأدب:

الأسطورة ظاهرة بارزة حظيت باهتمام بعض الشعراء العرب،بعد فهم مقاصدها وهضمها وهدمها وإعادة تشكيل بنائها وإعطائها ثوباً شعرياً جديداً مغايراً لمفهوم حكايتها الأولى، فالاطلاع على الثقافات والحضارات والمعتقدات، بالإضافة إلى التكوين الفكري والثقافي الفلسفي واللغة شرط من شروط الإبداع والمُعاصرة، فالشاعر الحديث له عمقه النفسي والفلسفي. فالمتتبع للدراسات النقدية العربية الحديثة، ولاسيما منذ سبعينيات القرن العشرين يجد اتجاهاً ملحوظاً نحو المدرسة الأسطورية في الشعر.

وللرجوع إلى ما قبل هذا التاريخ بعقود نجد أن الروّاد أمثال: السيّاب والحاوي والبياتي وآخرين يعود لهم الفضل في امتصاص الأسطورة وتخصيبها في أعماق النص، كرموز إشارية مُحملة مثل: عشتار السياب و(بروميتسيوس) البياتي و(سندباد) الحاوي جعفر (٩)، ولهذا"فإن الرمز أخذ يشتق مكانته من ذلك العمق الأسطوري؛ حتى يصلنا بمفاهيم

5 (٥) الموسوعة العربية العلمية: المصدر السابق،ج٢،ص١٨٢ .

6 (٦) الموسوعة العلمية، ص٠٨٢، مصدر سابق.

7 (١) خورشيد، فاروق؛ ذهني محمود: فن كتابة السيرة الشعبية،ط٢، منشورات اقرأ، بيروت، ٠٨٩١،ص٢٢.
(٢) ينظر: ليوسف، أليكس: فلسفة الأسطورة، ترجمة منذر حلّوم،ط١، دار الحوار، اللاذقية، ٠٠٠٢،ص٠٦١ وينظر: عباس، إحسان، اتجاهات الشعر المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت،٨ ٧٩١ص٤٦١.

8 (٣) الشمعة، خلدون: المنهج والمصطلح، مدخل إلى أدب الحداثة،ط١،اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٩٧٩١،ص٦٤١.

9 (٤) الجزائري، محمد: تخصيب النص، الأسطورة-السيرة الشعبية-، الرمز، مطابع الدستور التجارية، عَمَّان، ٠٠٠٢،ص١٦١.

عصرنا وجديدنا في الرؤية"(١٠) فالرموز الأسطورية في البناء الشعري الحديث تحررت من الاتجاهات والميول الرومانسي؛ بحيث صار البحث عن معنى ودلالة الرموز والمحتوى النهائي لها(١١)؛ فالأسطورة-حسب قول اليفي شتراوس- ليست مجرد حكاية خرافية؛ وإنما هي تنطوي على رسالة، وما من رسالة إلاّ ولها مُرسل؛والمرسل ليس معروفاً تماماً؛ أمّا المرسل إليه فهم أولئك الذين يسمعون أساطيرهم للمرة الأولى من حملة التراث. ويفسر ذلك على أن المرسل هم الأسلاف، والمرسل إليه هم الجيل الحالي أو المستَقْبِل(١٢)؛ كما يعد كتاب (تشريح النقد)؛للناقد الكندي نور ثروب، الصادر في العام ١٩٥٧علامة بارزة ومصدراً مهماً في تفسير العلاقة بين الأسطورة والأدب، ولاسيما في النوعية، سوى فرق قليل في الشكل،وهو فرق يتمحور في الانزياح الذي ينتجه النص الأدبي على الأسطورة الأصل.(١٣)

أما من حيث التوظيف- أي الأسطورة-بشكل فاعل فلابد" لها من الأديب الذي يفهم مغزاها لتعليق حالته بها، ولا يشترط أن يرتبط الأداء بأساطير قومهم، فليست الإقليمية بالفيصل في تقويم التعبير".(١٤)فمهمةُ الأديب البحثُ والتقصي في عالم الأسطورة، وتوظيف ما يلائم الغاية أو الهدف أو الموقف والحالة الشعورية والرؤية العميقة. فيتجلى الإبداع بعد" الفهم والتمثيل وفهم الموقف المعاصر وإذابته في شبيهه الأسطوري ليكون الكل الذي يُعطي الإحساس بالصدق التلقائي"(١٥) وبهذا يكون التفسير الأسطوري أقرب تفسير؛"لأنه يرتبط بالأعماق أو اللاوعي الجماعي الذي يساعد على معرفة النفس". (١٦)

ونجد في الشعر العربي الحديث النزوع الأسطوري أو ملامحه، أو أسطرة الواقع المعيش، أو من خلال استدعاء الشخصية التراثية الأسطورية في المتون الشعرية؛ ومردّ ذلك يعود إلى تضمن هذه الشخصيات بعض الحقائق التاريخية أو الأدبية أو الدينية أو الفلسفية لما لها من فعالية مجازية ورمزية، ولما لها من نشاط فكري، تلتقي مع الأدب من حيث الوظيفة. فوجودها أصبح يخلق توازناً بين الإنسان ومحيطه، بالإضافة إلى مساهمتها في تحرير العقل من سطوة الواقع، والتحليق به فوق عوالم المحسوسات، ومنحه طاقة ترميم حالات التصدّع التي ينتجها هذا الواقع.(١٧)

10 (٥) الجزائري، محمد: تخصيب النص، ص٧١١. المرجع السابق.
11 (٦) الجزائري، محمد: تخصيب النص، ص٦١١. المرجع السابق.
12 (١) شتراوس،كلود ليفي: دراسة فكرية، إدموند ليتش، ترجمة:ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢،ص٧٥.
13 (٢) ينظر: أحمد، عبد الفتاح محمد: المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي،ط١، دار المناهل، بيروت، ٧٨٩١،ص٧١.
14 (٣) ينظر: زكي، أحمد كمال: دراسات في النقد الأدبي،ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ٧٩٩١،ص٨٧١.
15 (٤) ينظر: المرجع السابق،ص٩٧١.
16 (٥) المرجع السابق ،ص٠٨١.
17 (٦) ينظر: الصالح، نضال: النزوع الأسطوري في الرواية العربية المعاصرة، ٧٦٩١-٢٩٩١، أطروحة دكتوراه،جامعة حلب، ٢٠٠٢،ص٦.

يعدُّ الشعر من أقدم ما وصلنا، ولاسيما الشعر القصصي.(١٨)ويعود الفضل في ذلك إلى الشعر الغنائي الذي استطاع أن يحمل هذا الموروث من الأساطير ذات الإيقاع والترنيمات التي سرعان ما تتجلى بشكل واضح في الملاحم الشعرية.(١٩)

يجب علينا ألاّ نغفل أن المدرسة الرمزية الحديثة أفادت من المنهج الأسطوري من خلال رصد العلاقات بين اللغة والشعر الأسطوري. فالأساطير مصدر لا يستهان به لانبثاق نماذج من الأدب، إن الحبكة والشخصية والموضوع والصورة الأدبية هي مزج وتبديل لعناصر شبيهة موجودة في الأسطورة، وبهذا يصبح الأدب مسؤولاً حقيقياً إزاء ما سعت الأسطورة لتحقيقه؛ ألا وهو"أن يعرف الإنسان مكانه الحقيقي في الوجود وأن يعرف دوره الفعال في هذا المكان(٢٠).

إن الواقعَ العربي المعاصر مرَّ بظروفٍ سياسية، أو بالأحرى شهد سلسلة من النكبات والمنعطفات القاسية والخطيرة، بحيث بات المواطن العربي قبل السياسي والأديب، وبالتحديد الشاعر، لا يستطيع تقبل أو استيعاب ما جرى. إن هذا المنعطف الثقيل على العقل والنفس، وما رافقه من تضييق على الحريات، وتكميم للأفواه؛ جعل الشعراء يسعون جاهدين للبحث عن صيغة جديدة أو أداة أو طريقة تمثل رؤاهم حيال الواقع المرير؛ ذلك الواقع الذي سمّاه نجيب محفوظ:" غير المعقول بعد ١٩٦٧ ".(٢١)أو كما وصفه:" بفترة الجنون" عندما قال:"إننا نعيش في الوطن العربي الآن فترة جنون، فأنا لا أتصور مطلقاً ما يحدث وخيالي عاجز عن تصوّر هذا الشقاق والخلاف والتنابذ، إننا نعيش بالتأكيد فترة جنون".(٢٢)

إن واقعاً كهذا يحتاج -حتماً- من الشعراء إلى الرموز الشعرية، ومن هنا كان عالم الأساطير؛ وهو العالم الذي يحج إليه الشاعر ليجد فيه ضالته، أو ما يوافق رؤيته، من خلال استحضار الرموز وتوظيفها في البناء الشعري، بعد تفكيكها، ومن ثَمّ إعادة بنائها ضمن رؤية وأسلوب جديدين. إن الأسطورة أو الرمز هو البديل عن مواجهة السلطة التي تسعى إلى تقييد الحريات، في حال عدم تحقيق طموحات أبنائها أو تلك التي لا تسمح للمثقف، وخصوصاً الشعراء، في المشاركة السياسية لقوة تأثيرهم في النفوس؛ بما يملكون من إبداع وإلهام ورؤية ثاقبة، ونقد لاذع. فالمثقف والسلطة ثنائية تصب في مجرى واحد تقريباً، وهو مجرى الصدام أو الاحتواء أو القمع أو الإغفال أو الحوار أو المشاركة بين صاحب الأفكار والمالك لأدوات تنفيذها أو قمعها".(٢٣)

18 (٧) ينظر: زكي، أحمد كمال: المرجع السابق،ص٧٩١.
19 (٨) ينظر المرجع السابق،ص٩٩١-١٠٢

20 (١) السواح، فراس: مغامرات العقل الأول: دراسة في الأسطورة،ط١، دار الكلمة،بيروت، ١٨٩١،ص٤١.
21 (٢) فوزي، محمد: ، نجيب محفوظ، زعيم الحرافيش،ط١، بيروت ، دار الجيل، ٩٨٩١.
22 (٣) المرجع نفسه،ص٢٥١.
23 (٤) ينظر: الطراونة، سليمان: المثقف والسلطة، مجلة أفكار،ع٥٢١، عَمّان،٦٩٩١،ص٣٤.

إذاً الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي التي ساهمت في خلق فضاء الرمز، وخصوصاً الرموز الأسطورية، تلك التي تساعد الشاعر على الهروب من الرقيب أو الإفلات من الرقابة القانونية المفروضة، أو الهروب من الواقع المعيش الذي-عادة- ما يتحمل فيه الشاعر هول الصدمة؛ وعندئذٍ تأتي الأسطورةُ؛ الرمز؛ البديل الموضوعي؛ لما "للأسطورة من جاذبية خاصة؛ لأنها تصل بين الإنسان والطبيعة، وحركة الفصول، وتناوب الخصب والجدب٠٠٠، ومن ناحية فنية فهي "تنقذ القصيدة من الغنائية المحضة وتفتح آفاقها لقبول ألوان عميقة من القوى المتصارعة والتنويع في أشكال التركيب والبناء" .(٢٤)

إن خصوصية المرحلة وإسقاطاتها السياسية والاجتماعية على المجتمع تستدعي أن يخوض الشاعر غمار التجربة، باستحضار الرمز الأسطوري أو الشعبي، أو أسطرة الحالة أو الوضع الإنساني العام بعد هضم الرمز وتحويره،" فالتحوير البنائي، خطوة طبيعية يتم عبرها إلباس المعاني الأسطورية العارية؛ ثوب الألفاظ الشعرية، وعملية نقل هذه المعاني من حيّزها التراثي إلى النص الشعري٠٠٠فيكون المعنى الأسطوري معنى شعرياً مِلكاً للشاعر".(٢٥)عِبر توليفة إبداعية يصعب فهمها إلّا في ضوء الجو العام، وفهم الرمز ومدلوله.

- الرموز الأسطورية:

- أسطورة "إيفاجينايا ":

الشاعرُ عبد الرحيم عمر واحدٌ من الشعراء الرواد الذين اهتموا بتوظيف الرمز الأسطوري والتاريخي والشعبي؛ فنجد أن الأساطير اليونانية مثل: بنيلوب وآجاممنون وابنته إيفاجينايا ويوسيدس، كرموز في البناء النصي. في قصيدة "إيفاجينايا٠٠٠تواجه البحر" يدخلنا الشاعر بعد المفتتح العنوان، إلى أجواء الحدث مباشرة من خلال هامش يفسر فيه معنى الأسطورة وأجوائها، وفيه يقول: "ثار البحر وأوشكت الحملة المتوجهة إلى طروادة على الغرق، فسارع أجامنون إلى الكاهن؛ فجاءه الجواب أن عليه إلقاء ابنته إيفاجينايا إلى أعماق البحر استجابة لرغبة يوسيدون الذي يريد الزواج بها"(٢٦)

إن وضع الهامش التفسيري مباشرة،بعد العنوان العتبة الأولى، ما هو إلاّ من أجل خلق حالة من التواصل مع القارئ أو المتلقي. وحتى لا يكلِّفه عناء البحث بقدر ما يحيله مباشرة إلى الجو العام الذي تدور حوله القصة ومجرياتها، ومن ثَمّ ترك المجال للمتلقي للتأويل وربط الرموز بالوضع العام السائد. القصيدة تتكون من أربعة مقاطع أو مشاهد.

24 (١) عباس، إحسان: اتجاهات الشعر العربي المعاصر،ص ٨٢١.
25 (٢) خليفة، أحمد: التحوير البنائي الأسطوري، من كتاب عز الدين المناصرة غلبة الألوان والأصوات، مجموعة مقالات،إعداد وتقديم زياد أبو لبن، دار اليازوري، عَمَّان،٢٠٠٦،ص١٠٣.
26 (٣) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية، منشورات مكتبة عمان، ١٩٨٩،ص٩٣٤.

فالمكان المتعين هو طروادة، والرموز الأسطورية إيفاجينايا وآجمامنون، والحادثة هي إنقاذ الحملة من الغرق. هذا على المستوى الظاهر على بنية النص السطحية. يقول الشاعر في المقطع الأول:

يا بُنيه !
كم تمنيت لو أني جئت بالبشرى وأغلى ما تمنته الصبايا
ومعي خمرة باخوس هدية
وتعالت دعواتي
ودون أن أُذعن أو أُطعن أسمى أمنياتي الأبوية
يا عروس الأبدية
أنتِ يا مَنْ كوّنت من نور عيني ومن رفات روحي
أنتِ يا إيفاجينايا(٢٧)

إذاً نلاحظ أن أسلوب النداء أضفى على النص المأساة والتراجيديا وغطى مساحة النص بالتوجع والألم، وأن لا بديل إلاّ إيغاجينايا بأن تكون الفاديةَ والمضحيةَ ورمزَ الخلاص. القصيدة تتحرك في سياقها البنائي أَولاً بأول لتكشف لنا في النهاية عن الرؤية المنشودة. إن الأسطورة ككلمة تفيد العقدة، والبناء القصصي، كما أنها شيءٌ سرديٌ، قصة في مقابل الحوار الديالكتكي(٢٨).وقناع الشاعر" أجمامنون" يلح على ابنته بالقبول؛ فيصف لنا الأب ذلك في المقطع الثاني إذ يقول:

عابس وجه الصباح
وصراخ الموج والحيتان في الآفاق ترجيع استغاثات جريح
بالجراح
أنزلت آلهة الأولمب بالحملة أنواع الرزايا
فاصبري إيفاجينايا
وافتدي الحملة
كوني الزاد والخمرا
كوني الدفء والجمرا
وكوني مريم العذراء، كوني شهرزاد(٢٩)

إن صوت القناع نقلنا من جو التوجع والتمني على أن يقدم لإيفاجينايا ابنته خمرة"باخوس"

27 (١) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص٩٣٤.
28 (٢) ينظر: ويليك رينيه، وارين أوستن: نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة د. حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٧٨٩١،ص٨٩١.
29 (١) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص٩٣٤-٠٤٤.

تقديساً لها بدلاً من أن يقدمها هدية "ليوسيدون". و"باخوس" هو ابن الإله "زيوس" عبادته دائماً مقترنة بالرقص والغناء والسكر من قبل النساء، وهو مُتوَّج بأوراق العنب(٣٠)، كما استطاع أيضاً أن ينقلنا إلى جو آخر، وهو جو الوصايا، بعد أن تحقق فعل الفداء والتضحية. القصيدة بفعل الرمز الأسطوري تتحرك وتقترب شيئاً فشيئاً من المرجعية الدينية "مريم" والتراثية "شهرزاد"، مما يدل أنه لابد من المواجهة والتحمّل، والصبر على البلاء.

إن استدعاء الشخصيات الأسطورية واستنطاقها وتخصيبها في بنية النص، دليل على أنها "الأدوات التي نناضل بها على الدوام-كما يقول مارك شور-من أجل أن نتفهم تجربتنا، فالأسطورة صورة عريضة ضابطة تضفي على الوقائع العادية في الحياة معنىً فلسفياً٠٠٠وبدون تلك الصور التي تقدمها الأسطورة تظل التجربةُ سديمةً وممزقة"(٣١)، ومن هنا يمكن القول: إن عبد الرحيم عمر برموزه الأسطورية والتراثية استطاع تقريب الصورة، وإسقاطها على الواقع العربي حينما قال:

هامة تستصرخ الثأر مسكوناً أو ظلاماً أو جماد صرخة من ليل يافا
أَنة في كل ليل عربيٍّ
طلقة بعد حصار أُطلقت في كل مرفأ
أو حبيباً ضائع القسمات يستجدي أباً في كل منفى (٣٢).

إن صرخة القصيدة لم تعد في سياقها البنائي صرخة مقصودة لقصة الأسطورة ذاتها؛ بقدر ما هي صرخة عربية؛ فالهامة مثلاً: "من أغنى الأساطيرَ في العصر الأسطوري العربي وذلك لارتباطها بتفسيرهم للنفس ثم للموت، وهي الطائر الذي يظل يصيح عند قبر القتيل "اسقوني" حتى يؤخذ بثأره"(٣٣).إن هذا التوظيف ما هو إلّا دليل على مقدرة الشاعر في استحضار روح الأسطورة، وتوظيفها توظيفاً فنياً ينسجم والرؤية المنشودة "داخل بنية القصيدة مع ضرورة فنية تدفع إلى استخدامها، وفي تلك الحالة قد يلجأ الشاعر إلى تفتيت إطار الأسطورة ويعيد صياغتها من جديد بما يتفق وواقع تجربته الشعرية، أو قد يلجأ إلى تلخيصها وطرح هوامشها وتقريراتها مكتفياً بالدافع الأساسي منها"(٣٤).

30 (٢) ينظر: غيربر، هـ. أ : أساطير الإغريق والرومان، ترجمة حسني فريز،ط١، عَمَّان، دائرة الثقافة والفنون، ٦٧٩١،ص٩٠١-٠١١.
31 (٣) إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،ط٥، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٤٩٩١،ص٦٩١.
32 (٤) عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق، ص٠٤٤-١٤٤.
33 (٥) الكركي، خالد: الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل،بيروت،مكتبة الرائد، عَمَّان،ط١، ٩٨٩١،ص٣٠١-٤٠١.
34 (١) فتوح، محمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،ط٢، دار المعارف، القاهرة،٨٧٩١،ص٧١٣.

وعلى أية حال فإن تأويل الرموز يختلف من شخص إلى آخر، فالتأويل:"هو انتهاك لحدود النص بتوسيع دائرته وترك المتلقي يقرأ كل ما يريد من غير حسيب ولا سلطة ولا رقيب"(٣٥).،ومن هنا أجد أن إيفاجينايا المرأة رمز الخصب والإنجاب والتكاثر، أو رمز للمرأة الفلسطينية المضحية دوماً،وطروادة المكان العربي/ فلسطين، وما "يوسيدون" إلاّ العدو الصهيوني؛ عدو الإنسان والمكان معاً، وما الهامة إلا رمزٌ للثورة ومواصلتها حتى الشهادة والتحرير. فالأسئلة الاستنكارية الموجهة في المقطع الأخير من القصيدة، يحيلنا بلا أدنى إلى الواقع العربي حينما يقول الشاعر:

ما الذي يمكن للراية إن طاحت بإصرار القبيلة
ما الذي يمكن أن نفعل كي نقنع مخذولاً على قارعة الموت بأنا لم نبعه بثمن ؟
ما الذي يقنعه أن الوطن
ليس سجناً أو كفن (٣٦).

ـ أسطورة الأولمب:

وما دمنا في رحاب وأجواء الأسطورة اليونانية أقف عند قصيدة "قمة الأولمب" للشاعر محمود فضيل التل بحيث استطاع من خلالها أن يوجه نقداً سياسياً بارعاً للواقع المعيش بحيث كان توظيفه للأسطورة أو الاستعانة بها جاء منسجماً مع سياق القصيدة.

وقمة الأولمب هي قمة شاهقة تغطيها الغيوم في تيساليا وهي موطن الآلهة الكبرى للبانثيون اليوناني حيث تجتمع آلهة اليونان على قمة هذا الجبل لبحث أمور حياتهم وقضاياهم. (٣٧) بينما القمم العربية مخالفة حتى للأساطير:

يا سادة الأولمب
كم كثر الكلامُ بوعدكم
ولكمْ تعالت صيحةُ الإنسانِ
في حلم النبوءة
كم صبرنا علنا نحظى بشيءٍ
أو ببارق حكمة من نهجكمْ
يا سادة الأولمب؟!
أين إلهُكم ؟

35 (٢) اليافي، نعيم: الشعر والتلقي، دراسات في الرؤى والمكونان، دار بترا للنشر والتوزيع،٩٩٩١م،ط١،ص٨٥.
36 (٣) عمر، عبد الرحيم عمر،الأعمال الشعرية الكاملة، مصدر سابق،ص٣٤٤.
37 (١) ينظر: بربارة، فؤاد جرجي: الأسطورة اليونانية، مطابع وزارة الثقافة، دمشق، ٦٦٩١،ص٥٩-٦٩.

ومَنْ الحكيم بقومكم ؟
ومَنْ العزيز برأيكم ؟
ما أكثر الأفكار الأرباب في آثاركم(٣٨).

لقد جاءت لغة الخطاب بصورة مباشرة؛ تخللتها أداة النداء؛ تلك التي تخص فئةً معينةً من الناس؛ وهم سادة العرب وقادتهم. إن أداة النداء المتوجعة أظهرت مدى الآمال المعلقة والمرجوة، وأظهرت الصبر الطويل، فشاعر العصر الحديث "أصبح مثقف العصر ومفكره وناقده ورائيه. كما أضحى فاديه ومخلِّصه ومسيحه المصلوب"(٣٩) .أما فيما يتعلق بالرمز وانحرافه؛ فنجد أن آلهة الأولمب حسب الأسطورة تعود بالفائدة والخير، والشاعر يخاطب القادة العرب بـ: سادة الأولمب، وهذا غير متحقق على مستوى الفائدة، فالأسطر الشعرية التالية تبين ذلك إذ يقول:

يا سادة الأولمب
حتى في الإله تعدد
فإلهة للخير
أو للشر
أو للخمر
أو للحب
أو للخصب
فيها وهمكم أو ظنكُمْ(٤٠).

إن تعدد الآلهة في الأسطورة يعود على أهلها بالخير والفائدة، وقمة العرب لا تزيدها إلاّ تفرُّقاً وتنابذاً، والشاعر يتسلح بإرثه المعرفي وينطلق من حسٍ قومي وحضاري؛ ليمارس نقده بوساطة الكلمة الفعل جاعلاً من الأسطورة، البؤرة والمنطلق في "تنظيم شتيت الحياة ورأب الصدع الحاصل بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين مجتمعه ، بواسطتها استطاع أن يخلق صوراً من التعبير، كان لها الأثر البارز في توطيد كيانه الروحي واستقراره الاجتماعي وتجسيم معرفته بالعالمين الداخلي والخارجي تجسيماً حياً"(٤١)،كما هو الحال في قصيدة "قمة الأولمب".

- شهرزاد:

من الرموز الأسطورية التراثية نجد أن "شهرزاد" كرمز أسطوري تجلى بكثرة في

38 (٢) التل، محمود فضيل: جدار الانتظار،ط١، مطبعة الشرق ومكتبتها، عَمَّان، ٣٩٩١، ص١٢.
39 (٣) اليافي ، نعيم: الشعر والتلقي، مرجع سابق،ص٧١٢.
40 (١) التل، محمود فضيل: جدار الانتظار، مصدر سابق،ص٢٢.
41 (٢) الصحناوي، د. هدى: الإبداع الاستعاري في الشعر، الشعر السوري نموذجاً، دار بتراء، دمشق، ٧٩٩١،ص٥٩.

نصوص الشعراء. وشهرزاد رمز تاريخي لقصة ألف ليلة وليلة حملها الشعراء في نصوصهم الشعرية ،وهي ذات دلالات في الماضي والحاضر. فمضمون الأسطورة يحملُ معانيَ عديدةً، منها: المواجهة والتضحية لإسعاد الآخرين، ولعل هذا الملمح والبحث عنه في الرمز الأسطوري لدى الشعراء، ما هو إلا البحث عن السعادة المطلقة والحياة المثالية، منذ أن خرج آدم من الجنة، وهذا الأمر يدخلنا إلى عالم "اليوتوبيا"؛ الذي هو حلم الإنسان بالمكان المثالي "فاليوتوبيا تتأسس على واقع بعيد متخيل""(٤٢) ،كاستدعاء "شهرزاد" في المضامين الشعرية. ولعل الشاعرَ تيسير السبول واحدٌ من الشعراء العرب الأردنيين الذين نظروا مبكراً لهذا الرمز لأهميته الزمكانية والتأريخية؛ فيقول في قصيدة "مالم يقل عند شهرزاد":

" ألف ليلةْ
كل ليلةْ
حلمك الأوحد أن تبقى لليلة"
قصة تروى ومذ كنا صغار
حملتنا لأرض الجنِّ
عِبر الريح والأنواء في عرض البحارْ
وحببناك
وحببناك كثيراً
وسهرنا ليلة في إثر أخرى
لهفة تسأل عما
كان من أَمر أخيرا
وعفا من بعد ألف شهريار
ففرحنا
في بلادي، حيث عين الطفل والشيخ سواء
دعوة تحيا على وعد انتصار(٤٣).

الشاعر السبول يوظف الأسطورة، إلى جانب براعته اللغوية لخلق حالة من التوازن النفسي؛ خاصة وأنه حمل الهم الوطني والإنساني والاجتماعي والقومي؛ فكيف لا وهو الشاعر الذي تحطم على صخرة الوطن الكبير بأحلامه وأمنياته المشروعة، والمناضل دوماً "باستبعاد القهر والهزيمة والجهل والخطل، وحينما يتكسر الحلم أمام عينيه،

42 (٣) حليفي، شعيب: شعرية الرواية الفانتاستيكية،ط١، المجلس الأعلى للثقافة، المغرب، ٧٩٩١،ص٥٦.

43 (١) السبول، تيسير: أحزان صحراوية، منشورات المكتب العصرية، صيدا – بيروت،ط١، د.ت، ص٦٩-٧٩.

وتدوسه أحذية الواقع الثقيلة البشعة يأخذ حزنه طابعاً فلسفياً واضحاً"(٤٤) في ظل وجود شهريار العصر؛ رمز الجبروت والظلم والطغيان والقتل.

شهرزادي
خدعة ظللت الآذان عمرا
ورست في خاطر التاريخ دهرا
إن عفا بعد ألف شهريار
وسنبقى
في بلادي – حيث عين الطفل والشيخ سواء
دعوة تحيا على وعد انتصار
كلما دق على الأفق شتاء
نتسلى بحكايات الشجيه
ونغني لانتصار
لم يكن يوماً ولا يرجى انتصار
تحت عين شهريار. (٤٥).

كما نجد لدى شاعرنا السبول استدعاء ملحاً لحادثة أُسطورية مشهورة في التاريخ المثيولوجي الفرعوني، ويخص من رموزها "إيزيس"، وتتلخص تلك الحادثة الأُسطورية أن "ست"،إله الظلام عند الفراعنة، قتل أخاه "أوزيريس"، واستماتة "إيزيس"، بالبحث عن زوجها. ويقوم بعد ذلك "حورس"، ابن القتيل بقتل عمه. "(٤٦)

والسبول باستدعائه ومناجاته لـ "إيزيس" لما تحمل من دلالات نفسية وروحية. وفي قصيدة "قطعة قلب للبراءة" يقول السبول فيها:

تخنقني أصابع الندمْ
تجتثّني، تحيلني شريحة من الأَلمْ
لأنني بريء
وفوق ما تحمله إرادتي
أصحو:
أكون قد صلبت إخوتي

44 (١) الأذرعي، سليمان: دراسات في الشعر الأردني الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٤٩٩١،ص٨٥.
45 (٢) السبول، تيسير: أحزان صحراوية، ص٩٩-٠٠١،مرجع سابق .
46 (٣) ينظر: مانفرد، لوركر: معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ط١، ترجمة صلاح الدين رمضان، القاهرة، مكتبة مدبولي،٠٠٠٢،ص٠٥١-١٥١،ص٧٩،ص٩١١.

أحبتي
أضرع: يا إيزيس يا إيزيسْ
يا من فضضت أرضاً
فتحت عن عطائها الحبيس
لو جُدت لي بحفنتي دموع
غسلت لي خطيئتي
حملت عن ضميري المعذب
آلامه وحماة التدنيس
لو جدت يا إيزيس(٤٧).

يعدُّ تيسير السبول شاعراً قومياً "بعد أن أغرق نفسه في بحر متلاطم من الفكر القومي؛ متزوداً بحب الإنسان والوطن والأرض"(٤٨) ، وعليه فإن اجتماع الفكر والأدب والشعر يجعل من رسالة الشعر رؤية أشمل وأعمق تجاه الكون والإنسان، لا بل يصل إلى مرحلة اليوتوبيا؛ وهي حلم الإنسان بالمكان المثالي والخالي من الشوائب والمنغِّصات. فدعاة اليوتوبيا يعترفون بقلقهم على مصير الكوكب والأرض"(٤٩) .وأغلب الظن أن ألم الشاعر ليس ألماً وتوجعاً شخصياً؛ وإنما ينبع من إحساس الشاعر المرهف تجاه المجتمع؛ الذي غدا فيه الإنسانُ مستغلاً لأخيه الإنسان استغلالاً يصل إلى درجة التآمر والحسد.

ومن هنا فقد جاء الشاعر بالشخصية الأُسطورية "إيزيس"؛ لأنها تحمل في نفسه شيئاً من الوفاء والبحث عن الأمان لدرجة تصل إلى الاستماتة؛ ولما تحمل من أبعاد أخرى كالتآمر والحسد، والقتل النفسي قبل المعنوي. فالشاعر المعاصر يبحث دوماً عن العالم الذي يمكن له أن يعيده إلى شيء من طبيعته الأولى؛ يلائم فيه التجسيد البدائي لتأمله، أو طموح الإنسان الحديث إلى إعادة خلق عالمه؛ فلم يجد غير الأُسطورة يحاكيها؛ يتنفس سحرها؛ يستلهمها؛ يوظفها، يعيد بناء العالم الذي ينشده بكلمات طقوسها(٥٠). وشاعرنا السبول وصل مرحلة من العذاب بلغت حد المضغ، ولا من مخلِّص لها حتى المسيح، وفي ذلك يقول:

أحس في فمي مرارة الدموع
وظلمة كثيفة في ناظري تشيع

47 (١) السبول، تيسير: أحزان صحراوية،ص٨١-٩١،المرجع السابق نفسه.
48 (٢) الأذرعي، سليمان: دراسات في الشعر الأردني الحديث،ص٦٥-٧٥،مرجع سابق.
49 (١) ينظر: برنيري، ماريا لويزا: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة عطيات أبو السعود،ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،١٩٩٧،ص٩.
50 (٢) علي، عبد الرضا: الأُسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة ،الجمهورية العراقية، سلسلة دراسات"٧٤١"،١٩٨٧،ص٩١-٢٠.

لم يفدني المسيح
يا إخوتي
أنتم رواء مقلتي
صلبتكم
جرحتكم
جرحت قلبي قبلكم
وحينما تراودني أزيس دعواتي
بسماتكم تهمي على روحي مطر
وعلَّ يوماً تهبُ(٥١).

يقول سليمان الأذرعي، حول هذه القصيدة؛ مقدِّماً رؤيته النقدية فيها: إن السبول وجيله غرقوا في وحل الخطيئة حتى آذانهم؛ وإن الخطيئة تطوِّقهم٠٠٠تلطخ مجتمعهم، وتلطخهم، ولا مفر لهم بعد٠٠٠ولن تستطيع "إيزيس" أن تنظف أدران شاعرنا، ولو جادت له بسيل من الدموع، ولا "المسيح" يفتديه بآلامه لهول الخطيئة-والشاعر يرفض هذا الواقع بكل إصرار؛ يريد الهروب بأي شكل من الخطيئة؛ ليترك المدينة وضجيجها وصخبها، ونساءها؛ ليعود إلى الأم الرؤوم؛ إلى الطبيعة(٥٢).أقول: أَية خطيئة، وأي حزن يغلف النفس الشاعرة ويصبغها بتضرُّعه لـ"إيزيس" و "المسيح"؟ إنها قضية أكبر من حجم الذات، وتفوق أيضاً أفكاره ومبادئه القومية و "الرفاق المتعبين"*؛ الذين رافقهم في حياته القصيرة؛ الكبيرة بحجم فكره المثالي اليوتوبي، إنها الصراع والبحث المستمر في أعماق الوجود " المدرك منه وما وراء المدرك"(٥٣)، فلا "إيزيس" كرمز للبحث المستميت، تستطيع أن تجعل شاعرنا يخضع في "غير المدرك وتدخله في نطاق المدرك"(٥٤) ، ولم تسعفه "بحل كل مشكلاته الروحية من حيث كونه فرداً، ولا مشكلاته المجتمعية؛ أي الناتجة عن علاقته بآخرين يصنع معهم بنية موحدة"(٥٥)؛فآثر المضي نحو الأم الرؤوم؛ منهياً حياته بعد " محصلة طبيعية لتصعيد مستمر ومتواتر بدأ منذ وعيه على الحياة"(٥٦) ومنغصاتها الاجتماعية والسياسية والنفسية، المتراكمة حيث صوَّب رصاصة إلى رأسه، يوم ١٩٧٤/١١/١٥"(٥٧).

51 (١) السبول، تيسير، أحزان صحراوية،ص٠٢-١٢،مرجع سابق.
52 (٢) الأذرعي، سليمان: دراسات في الشعر الأردني الحديث،مرجع سابق،ص٧٥.
* قصيدة للشاعر بعنوان "عودة إلى الرفاق المتعبين"، المرجع السابق،ص١٨.
53 (٣) إسماعيل عز الدين، الشعر العربي المعاصر،ص٧٩١.
54 (٤) المرجع نفسه.
55 (٥) المرجع نفسه.
56 (٦) سمحان، محمد: مقالات في الأدب الأردني المعاصر، منشورات وزارة الثقافة، عَمَّان،٤٨٩١،ص٧٢.
57 (٧) المرجع نفسه، ص٩١.

- عشتار:

في الأساطير البابلية القديمة نزلت الآلهة الشهيرة "عشتار" إلى العالم السفلي؛ كي تستعيد زوجها "تموز"، وهناك تلاقي "عشتار" العذاب الأليم على يد أُختها الكبرى "ايريشكيكل"، وزوجها الإله "نرجمال". ويبدو- حسب الأُسطورة-أن "عشتار" نجحت في الخروج من العالم السفلي-بطريقة ما-برفقة زوجها تموز(٥٨).

عشتار رمز الموت والانبعاث، تردد كثيراً في النصوص الشعرية العربية، وما كان من الشعراء العرب الأردنيين إلاّ أن اقتفوا أثر هؤلاء الشعراء التموزيين؛ الذين منحوا الرمز دلالاتٍ تحمل أبعاداً اجتماعية وسياسية وتاريخية. وعند الشعراء الأردنيين أجد أن هذا الرمز الأُسطوري يأتي ضمن البنية النصية، دون منحه مساحةً كاملةً بحيث يهيمن على النص ، وإنما يأتي واحد من الرموز الشعرية التي تحمل دلالاتٍ إيحائيةً تضفي على الصورة الكلية بعداً جمالياً وتمدُ القصيدةَ بصوتٍ مشاركٍ يقوي المعنى.

وفي قصيدة للشاعر علي الفزاع بعنوان: "سنابل ونواقيس"، فعند التمعن في هذه القصيدة نجد العنوان يحيلنا ضمناً إلى الخير، بينما موسم الحصاد كناية عن العناء والكفاح والتعب، والحياة القاسية التي عاشها الآباء و الأجداد في الحقول. فالسنابل تعني الخير والخصب وديمومة الحياة، وفيها يقول:

إنها الصحوة والذكرى الرهيبة
وهارباً كنتُ ، وخلفي زمن الجن
تقيّدُ خطوي٠٠
هارباً كنت وقف البحر أمامي
وانزلاق الهاوية٠٠
أَمسكوا بي ، ضربوا وجهي وقالوا:
قاتل القديس أنت
أنت من أغضب وجه الآلهة
قلت والذئبة تعوي، في جنون الريح،في الليل
السحيق
وعيون الحارس الليلي أفعى،
والمزاريب انتحاب وشهيق:
يا عبير الانتماء المخملي،
يا سكون الليل، يا دف والزوايا،

58 (٨) ينظر: باقر، طه: مقدمة في أدب العراق القديمة،ط١، جامعة بغداد، بغداد، ٦٧٩١،ص٥٣٢-٨٤٢.

في قرانا ، في حقول الخيز،
هل تعرفني٠٠؟
إنني باق على العهد القديم
وتراب الحقل ما زال هنا،
فوق جبيني،
فهل تعرفني٠٠٠؟
مزقت صوتي الرياح
وارتمى الفجر ذليلاً
والصدى عاد نواح
٠٠٠
يا هدير الموج من خلف الستار
إنني أجتر صمتي، بينما عشتار تشدو
في الحقول٠٠
هكذا منذ سنين، وأنا ألمح أُمي
تطبخ الماء وحبات الحصى،
وتغني بخشوع للصغار
فمتى أيها الموج أراك
غضباً يزهر بشراً
أملاً يعلو الوجوه٠٠؟ (٥٩).

عند تأمل هذه القصيدة نجد أنها ذات بنية درامية عالية، إذ يتداخل فيها صوت الشاعر بصوت ذلك الحارس الليلي مع إظهار أصوات الطبيعة الريفية في القرى، عندما يأتي الشتاء وتأخذ"المزاريب"،أي الأنابيب الممتدة من سطوح المنازل إلى صوت المونولوج الذي باح من خلاله عن حقيقة الذات وحقيقة الإنسان وعلاقته الدلالية وهي حبات التراث على الجبين؛ واصفاً أصواتهما بـ"بالانتحاب والشهيق".

صورة وصوت لا أحلى ولا أجمل كانت تُؤطر القرى في فصل الشتاء؛ لتكوِّن صورة وصوتاً مشاركتين أحزانه؛ مستمداً منها الصوت الباكي"النحيب" على رغم خصوبة الصورة، وشاعرنا يقترب أو يتناصّ مع مُقَوَّلَة القائد العربي المسلم طارق بن زياد:" العدو أمامكم، والبحر من ورائكم٠٠٠" عبر مشهد درامي، تتداخل فيه الأصوات وينسجم مع الموقف والرؤية الشاعرة، ويتقاطع فيه الاتهام من خلال قولهم: "قاتل

59 (١) الفزاع ، علي: نبوءة الليل الأخير، منشورات وزارة الثقافة والشباب، دائرة الثقافة والفنون،عَمَّان،٢٨٩١،ص٧٧ – ٨٧.

القديس أنت/ أنت من أغضب وجه الآلهة"."فزيوس" كبير الآلهة في الأولمب، يغضب على "بروميثيوس"؛لأنه سرق الشعلة من السماء ووهبها للبشر في الأرض ليستعينوا بها على مجابهة أخطار الطبيعة؛ عندها يقرر أن ينتقم منه؛ فيسند إلى نسر مهمة نهش كبده، ضمن حركة مستمرة. ويبقى"بروميثيوس" في ذلك العذاب الأليم حتى ينقذه "هرقل" مما هو فيه(٦٠).فالأسطورة تنظر إلى الانتقام في كثير من الأحيان نظرة تقديس.

بعد عمل الهروب والعناء نال الشاعر نصيبه من الضرب على الوجه، وما لهذه الصفعة من أبعاد نفسية، يقر الشاعر أنه ذلك الرجل الذي انغرس في أرضه مصدر قوته وحياته، وما حبات التراب إلا علامة دلالية على ذلك.

من الأصوات التي ظهرت في النص الشعري صوت عشتار؛ تلك التي تشدو في الحقول، وما كانت عشتار أُسطورياً تشدو، وإنما كانت تبكي لفقد زوجها، وتبذل قصارى جهدها بحثاً عنه كي تعيد الحياة إلى سيرتها الأولى. أما عشتار" الفزاع" فهي الأم بمعناها الأعم والأشمل؛ تلك الأم التي تعتصر ألماً حينما لا تجد لأطفالها ما يُسكت جوعهم، بينما الشاعر يجتر صمته الذي فيه: إن احتضان الصمت معناه الوعيد/ قل لهم: إن دموع الذل سيل من لهيب.

فعشتار والأم التي تطبخ الحصى مصدر للخصب والحياة، وإن استثمار الأساطير ورموزها في النصوص الشعرية الحداثية الأردنية- هو في الحقيقة- نابع من دوافع ثقافية معرفية؛ جاءت نتيجة حتمية لتأثرهم بالشعراء الرواد، خاصة السياب، وثَمّ دوافع "وجدانية متمثلة في الحلم بالحرية، والحيرة والقلق، والخوف والرهبة والقهر الاجتماعي، والثورة والتمرد، ومنها دوافع سياسية واجتماعية، ومنها دوافع فنية وفكرية مثل الرغبة في التجديد، ومحاكاة القدماء وإحياء التراث(٦١).

نلاحظ أن الرمز الأسطوري حقق بواعثه و أهدافه و ما يرمي إليه لأنه غدا لدى الروح الشاعرة معادلاً موضوعياً استطاع الشاعر من خلاله الإفلات من الرقيب ليقدم رؤيته عبر استدعاء الرموز الأسطورية القديمة .

الشعر الأردني العربي الحديث مليء بالرموز الأسطورية بدءاً من الشاعر عبدالله رضوان و الشاعر عزالدين المناصرة ، الشاعر الذي استطاع أن يبتكر اساطيراً لتجسد النضال العربي الفلسطيني . ولكن مقال بهذا الحجم لا يسمح بسرد رموزه الشعبية و التاريخية و الواقعية أو أسطرته للحياة اليومية للحالة العربية و لكن بحاجة إلى أطروحة مستقلة للغوص في بحره الشعري المليء بالرموز الأسطورية .

60 (٢) ينظر: حرب، طلال: معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة،ط١،بيروت،دار الكتب العلمية،٩٩٩١،ص٣٠١.

61 (١) السلمان، محمد صالح: الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة حلب، حلب،٩٩٩١،ص٧٦-٢٩.

خاتمة البحث:

إنَّ في النصوص الشعرية المخصبة بالرموز الأُسطورية دليلاً على أن الشاعر العربي الأردني الحديث لم يكن بمعزل عما يدور حوله من تيارات أدبية وثقافية في مدن ثقافية إبداعية كدمشق مثلاً، وبغداد ولبنان والقاهرة، بل كان شاعراً متابعاً لما يجري، بحيث سار الشعراء يقتفون أثر الرواد في طرائقهم الأسلوبية.

إن الواقع العربي المعاصر الذي شهد سلسلة من النكبات جعل الشعراء يبحثون عن أدوات جديدة، فكانت الرموز الأُسطورية المخرج الوحيد لهم من أعباء نفسية تطوقهم؛ يلجؤون إليها؛ يودعون فيها همومهم، ومن خلالها ينقدون الواقع؛ فكانت البديل الموضوعي؛ كونها رموزاً خافية على عقل الرقيب الذي مارس طقس تكميم الأفواه. والأساطير والتاريخ يمثلان مادة غنية للشعراء، أرسى قواعدها الرواد- منهم السياب على سبيل المثال لا الحصر-الذين قام شعرهم على ثلاثة أعمدة-حسب قول اليافي-أولها: هضم التراث ثم تجاوزه والإضافة إليه، وثانيها: التأثر بالثقافة الوافدة بصفتها ثقافةً إنسانيةً،ثم الاستقلال عنها وإغناؤها، وثالثها: الاستجابة لحاجات الواقع في التصوير والتعبير(٦٢).

إن أسطورة الشعر العربي الأردني الحديث استطاعت أن تومي وأن تقدم تصورها وتبث أوجاعها المعاصرة وتثري النص الشعري بمشاركتها لهموم وأوجاع شاعرها، وأن تقدم تفسيراتها وتبسط دلالاتها الإيحائية. فكانت"إيغاجينايا"و"عشتار" و"قمة الأولمب"و"إيزيس". ومن الموروث الشعبي"شهرزاد"، فعاشت الأُسطورة في الشعر الأردني،كما هو الحال في الشعر العربي عموماً، فتم إيحاؤها عبر سلسلة من الهدم، وإعادة البناء. تم إيحاؤها ضمن سلسلة من الطرائق الأسلوبية من هدم وإعادة بناء؛ لتكون شاهدة على الواقع المعاصر بجميع قضاياه السياسية والاقتصادية لتكون رمزاً للأمل والخصب والحياة وتجددها.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر

١. القرآن الكريم.

٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(ت١١٧٥هـ) لسان العرب،ط٣، مجلد١٢، ج٦،إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

٣. التل، محمود فضيل: جداد الانتظار،ط١، مطبعة الشرق ومكتبتها، عَمَّان،١٩٩٣م.

٤. السبول، تيسير: أحزان صحراوية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ط١، د.ت.

٥. عمر، عبد الرحيم: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات مكتبة عَمَّان، ١٩٨٩م.

٦. الفزَّاع، علي: نبوءة الليل الأخير، منشورات وزارة الشباب، دائرة الثقافة والفنون، عمان، ١٩٨٢م.

62 (١) اليافي، نعيم: الشعر والتلقي، مرجع سابق،ص٥١٢.

ب- المراجع العربية

١. أحمد، عبد الفتاح: المنهج الأُسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، دار المناهل، بيروت ١٩٨٧م.

٢. إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية،ط٥، المكتبة الأكاديمية، القاهرة،١٩٩٤م.

٣. الأذرعي، سليمان: دراسات في الشعر الأردني الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٤م.

٤. باقر، طه: مقدمة في أدب العراق القديم،ط١، جامعة بغداد، ١٩٧٦م.

٥. بربارة، فؤاد جرجي: الأُسطورة اليونانية، مطابع وزارة الثقافة، دمشق،١٩٦٦م.

٦. الجزائري، محمد: تخصيب النص الأُسطوري، السيرة الشعبية الرمز، مطابع الدستور التجارية، عَمَّان،٢٠٠٠م.

٧. حرب، طلال: معجم أعلام الأساطير والخرافات في المعتقدات القديمة،ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م.

٨. حليفي، شعيب: شعرية الرواية الفانتاستيكية،ط١، المجلس الأعلى للثقافة، المغرب، ١٩٩٧م.

٩. خليفة، أحمد: التحوير البنائي الأُسطوري، من كتب عز الدين المناصرة، غلبة الألوان والأصوات، مجموعة مقالات، إعداد وتقديم زياد أبو لبن، دار اليازوري، عَمَّان، ٢٠٠٦م.

١٠. خورشيد، فاروق ؛ ذهني، محمود: فن كتابة السيرة الشعبية،ط٢، منشورات اقرأ، بيروت، ١٩٨٠م.

١١. زكي، أحمد كمال: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة،ط٢، بيروت، دار العودة، ١٩٩٧م.

١٢. زكي، أحمد كمال: دراسات في النقد الأدبي،ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٧م.

١٣. سمحان، محمد: مقالات في الأدب الأردني المعاصر، منشورات وزارة الثقافة، عّمَّان،١٩٨٤م.

١٤. السواح، فراس: مغامرات العقل الأولى: دراسة في الأُسطورة،ط١، دار الكلمة، بيروت،١٩٨١م.

١٥. الشمعة، خلدون: المنهج والمصطلح، مدخل إلى أدب الحداثة،ط١، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٩م.

١٦. الصحناوي، د. هدى: الإبداع الاستعاري في الشعر، الشعر السوري نموذجاً، دار بتراء (طباعة، نشر، توزيع)،دمشق، ١٩٩٧م.

١٧. عباس، إحسان: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عَمَّان،ط٣، ٢٠٠١م.

١٨. علي، عبد الرضا: الأُسطورة في شعر السياب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٤م.

١٩. فتوح، محمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر،ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٨م.

٢٠. فوزي، محمد: نجيب محفوظ، زعيم الحرافيش،ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٨٩م.

٢١. الكركي، خالد: الرموز التراثية العربية في الشعر العربي الحديث، دار الجيل، بيروت، مكتبة الرائد، عَمَّان،ط١، ١٩٨٩م.

٢٢. الموسوعة العربية العلمية،ج١، موسوعة أعمال المؤسسة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٩٦م.

٢٣. اليافي، نعيم: الشعر والتلقي، دراسات في الرؤى والمكونات، دار بترا للنشر والتوزيع،١٩٩٩م.

ج- المراجع المترجمة:

١. برنيري، ماريا لويزا: المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ترجمة عطيات أبو السعود، ط١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٧م.
٢. شتراوس، كلود ليفي: دراسة فكرية، إدموند ليتش، ترجمة ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٢م.
٣. غيربر،هـ. أ: أساطير الأغريق والرومان، ترجمة حسني فريز، ط١، عَمَّان، دائرة الثقافة والفنون، ١٩٧٦م.
٤. ليوسف، أليكس: فلسفة الأُسطورة، ترجمة منذر حلّوم، ط١، دار الحوار، اللاذقية، ٢٠٠٠م.
٥. مانفرد، لوركر: معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة،ط١، ترجمة صلاح الدين رمضان، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠م.
٦. ويليك رينيه، وارين أوستن: نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، مراجعة د. حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٨٧م.

د- الدوريات:

١. الطراونة، سليمان: المثقف والسلطة، مجلة أفكار، ع١٢٥، عَمَّان، ١٩٩٦م.

هـ- رسائل الماجستير وأُطروحات الدكتوراه:

١. الصالح، نضال: النزوع الأُسطوري في الرؤية العربية المعاصرة (١٩٦٧-١٩٩٢)، أُطروحة دكتوراه، جامعة حلب، حلب،٢٠٠٠م.
٢. السلمان، محمد صالح: الرحلات الخيالية في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، جامعة حلب، حلب، ١٩٩٩م.